



”من حق البشر بل ومن واجبهم عندما تدل سلسلة طويلة من التجاوزات عليهم وسوء المعاملة واغتصاب الحقوق وممارسات مقصودة أخرى باتجاه واحد ولغرض واحد مع وجود مخطط يرمي لإخضاعهم لسيطرة حكم استبدادي مطلق، فمن حقهم بل من واجبهم أن يسقطوا ذلك الحكم وأن يعيثوا قيّمين جداً على أنفسهم ومصيرهم“.

هذا النص ليس من أدبيات الثورة السورية ولا من أدبيات الثورات العربية، إنه مقطع من أشهر وثيقة في التاريخ الحديث... إنها وثيقة الاستقلال الأميركي التي وقعتها مؤسسو الولايات المتحدة في الرابع من تموز عام 1776 وقرروا بهذه الوثيقة أن ينالوا حريةهم واستقلالهم... ويتغنى الرؤساء والزعماء الأميركيون المعاصرون دائمًا بهذه الوثيقة ويدللون بها ويقطعنون دائمًا مقتطفات من نصها تعينهم على ما يريدون ويفعلون.

وأظن أن الأميركيين فعلوا ما أوصت به الوثيقة في بلادهم فتخلصوا من الاستبداد وما زالوا يمنعون الاستبداد المباشر في بلادهم... في بلادهم فقط.

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية أي خلال سبعين سنة صنعت الولايات المتحدة أو استثمرت أو تحالفت مع سبعين نظاماً استبدادياً في ستين دولة.

يبعد أن السياسة الثابتة للإدارات الأميركيّة المتعاقبة أن تصون دفع الاستبداد داخل الولايات المتحدة وتصنعه في دول العالم المختلفة... وكأنها تعتقد أن صناعة ودعم الاستبداد خارج الولايات المتحدة يبعده عنها... الإدارات الأميركيّة المتعاقبة تصنع الاستبداد وتستثمر الاستبداد وتحالف مع الاستبداد في كل دول العالم الثاني والثالث والرابع.

ونحن في سوريا علمنا ذلك وتلمسنا أدله في زمن حافظ أسد وعند وفاته واستلام بشار رأينا وسمعنا وزيرة الخارجية الأميركيّة البرايت وهي تقر وتبarak استلام الوريث للحكم بعد نصف ساعة كاملة قضتها في لقاء مغلق معه كانت المدة الأطول التي قضتها بشار مع مسؤول أجنبى في مكان العزاء بأبيه.

وبعد اشتداد عود الثورة السورية حاولت الإدارة الأميركيّة أن تعثر على بديل ديكتاتور ليحل محل المستهلك المعطوب الذي فاحت رائحته فربت مع شركائها الأوربيين محاولة الإنقلاب الضخمة التي كُشفت وفُجر مُعدوها في مقر خلية الأزمة. واستمرت أميركا وشركاؤها بالبحث عن بديل يصون أمن إسرائيل ومصالح الغرب وكانت محاولات عديدة شملت انشقاق عسكريين ومدنيين مقربين من بشار ومحاولات متكررة لإعداد مجموعات مدربة مسلحة، وأرسلت تبحث وتختر كل الفصائل العسكرية المقاتلة للنظام عبر دعوات من معاهد دراسات وعبر ندوات كثيرة ظاهرها حوار وتدارس وباطئها فحص وتشخيص والتقت مع قادة فصائل بارزين علّها تجد من يصلح لها، ومؤلت أكثر من إذاعة لتسمع ردوداً وملخصات تعكس مواقف المعارضين والعسكريين والعاملين في الثورة السورية.

وجنّدت أميركا عبر عدة متعهدين آلافاً من المخبرين يخبرون عن كل شيء ويسجلون كل شيء على الأرض داخل سوريا حتى وصل كم المعلومات الواسعة إلى أكداش لبداً احتوت على تضاربات شديدة وتناقضات أرهقت المؤرشفين والمخلصين وكاتبي التقارير الأميركيّان.

وخلال مرحلة البحث الحيث عن بديل كان لابد للخطاب الأميركي والأوربي الرسمي السياسي والإعلامي أن يلجأ للنفاق وأن يكسب الوقت فاعتمد الخطاب على تصريحات ضد بشار الأسد أخذت صياغات عده من أنه فقد الشرعية إلى عليه الرحيل وأنه يجب أن لا يكون له وجود في مستقبل سوريا.. وأرفقت أميركا مع نفاقها السماح لبعض دول الخليج بالتمويل البسيط لبعض المجموعات التي تعتبرها معتدلة وسمحت بسلاح التاو المضاد للدبابات بكثيارات محدودة.

ولماً عجزت أميركا عن إيجاد بديل غير تصرحياتها بالتدرج فقالت: من الممكن السماح ببقاء بشار لفترة انتقالية ثم الأولوية ليست لرحيل الأسد، ثم لحقت أوربا بأميركا ببطء في البداية ثم سارعت وتناغمت ووصلوا جميعاً إلى القول: من الممكن أن يبقى بشار ومن الممكن أن يكون أيضاً شريكاً ضد الإرهاب... شريك لهم وحليف.

هذا الإسفار ليس بغرير ولا مفاجئ عند كثرين فهم يعلمون من تاريخ الغرب سياسة عريقة قديمة مستمرة ممنهجة في التحالف مع الاستبداد.

الدول المستبدة يسهل التفاهم معها فالتفاهم مع رجل واحد بيده مقاليد السلام وال الحرب والاستثمارات أسهل وأنجح بآلف مرة من التفاهم مع ممثليين حقيقيين للشعب.

أقبية الدول المستبدة الخليفة أماكن ممتازة للتحقيق والتعذيب يمكن للغرب أن يستخدمها عند اللزوم مع أفراد وربما مجموعات... من غير خطر تبعات قانونية وإعلامية.

المستبدون في نظر الغرب يحترمون ساداتهم ويقفون عند حدودهم ويضبطون كل أمر غير مرغوب به ويسيطرؤن على كل فرد متمرد ويعطون الضمانات المقنعة اللازمة...

يبدو أن وسائل الاستبداد والقتل الكتالي في نظر الغرب خير وسيلة للاستقرار ومنع الفوضى والانفلات في دول العالم الثالث.. استقرار المقابر وهدوء من في القبور.

في سوريا أرادوا فقط تبديل مستبد مستهلك بمستبد جديد ففشلوا فعادوا إلى المستهلك ليعيدوا تدويره وتأهيله بتاريخ صلاحية مفتوح.

إنه بشار الأسد في السياسة الغربية من حتمية رحيله إلى ضمه شريكاً وحليفاً.

بشار الأسد الذي قتل مليوناً من الشعب السوري تتوافق عليه اليوم الدول الغربية الديمقراطية وتبأ في نظرهم لكل القيم الإنسانية وقيم الحرية خارج حدودهم.

توافق أطلقت فيه دول الغرب يد إيران في سوريا وهم يعلمون أنها تطبق مشروعها تطهيرياً صفوياً اسئصالياً للتغيير الديموغرافي في سوريا بوسائل القتل والإرهاب والتغيير.

توافق وتخطيط غربي يستخدم ويسهل لبوتین ربيب الاستبداد السوفييتي ووريثه أن يمسح مدننا وقرى سوريا كاملة وأن يبيد الشعب السوري المنتفض بإبادة كتلوية شاملة.

هذا هو المكر الغربي... مكر شديد قديم جديد لا يراعي قيمًا ولا أخلاقيًا فهل من مكر يواجهه؟... هل من مكر يبطله؟